(النَّاس والأزمة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:32-37].

قال رسول الله ﷺ: ((**يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالَتْهم** -يعني: أضَلَّتهم- **عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن**

يشركوا بي ما لم أُنزِّلْ به سلطاناً ...))، ثم قال ﷺ: ((أهلُ الجنة ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مقسِطٌ مُتصدِّقٌ مُوفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قُربى ومسلمٍ، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيال))، قال: ((وأهلُ النار خمسةٌ... -وذكر منهم:- الخائنُ الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانه، ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، والشنظير -أي: الفحَّاش-)). [رواه مسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(النَّاس والأزمة)

أيُّها الإخوة:

الأزمة التي نعيش ابتلاءٌ يبتلي به الله تعالى العباد، عالمهم وجاهِلهم، غنيّهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم، تماماً كسائر شؤون الحياة من عسر ويسر وضيق وسَعة، وراحة وتعب، ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:2].

وإني وجدتُ النَّاس في الأزمة ثلاثة أصناف: مشاركٌ في تأجيج الأزمة، ومساعِدٌ في زيادة أُوارها وضرامها، وصنف باذلٌ وُسْعَه في تسكينها وإخمادها، وتسكين أسبابها وأعراضها، وصنفٌ غير مبالٍ بما هو كائنٌ وبما سيكون..!!

فهم ثلاثة: مؤجِّج، ومُسَكِّنٌ، وغيرُ مبالٍ. وسأجعل حديثي عن هؤلاء الثَّلاثة مادةَ الخطبة لِيَبْحَثَ امرؤٌ عن نفسه أين هو؟ وأين ينبغي أن يكون؛ لأنَّ المرء حيثُ يَضَع نفسَه.

فأمَّا الصِّنف الأوَّل: فهم المؤجِّجون للأزمة؛ المضرِمون أسبابها وعوارضَها، ﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور:19]، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ -لا يقصِّرون في الإفساد- ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:118]، يبثُّون الأراجيف، وينشرون الأكاذيب، ويحرِّضون النَّاس بعضَهم على بعض.

إذا تكلَّموا فالسِّباب والشَّتائم والفحش، أو هو الكذب والتَّزوير والتَّحريف، أو بثُّ الأحقاد ونشر العصبيات، وإذا عَمِلوا فنصرةً للظُّلم ودعماً للباطل، يمشون بالنَّميمة ويفرِّقون بين الأحبة ويبتغون للبرآء العَيب، تسرهم الفوضى والفُرقة، ويؤلمهم الحق والخير، يذكِّرك عملهم بعمل شاس بن قيس..

روى ابن كثير عن محمد بن إسحاق: أنَّ رجلاً من اليهود مَرَّ بملأٍ من الأوس والخزرج، فساءَهُ ما هُمْ عليه من الاتفاق والإلْفَةِ، فبعثَ رجلاً معه وأمَرهُ أن يجلس بينهم ويذكِّرهم ما كان من حروبهم يومَ بُعَاثٍ وتلك الحروب، ففعلَ، فلم يَزَلْ ذلك دأبُهُ حتى حمِيَتْ نفوسُ القوم، وغضبَ بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادَوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتَهم، وتواعدوا إلى الحرَّة، فبلغ ذلك النَّبي ﷺ، فأتاهم فجعل يُسكِّنهم ويقول: ((أبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ؟)). وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:62-63].

إنَّ مَنْ يعزّزُ العصبيات وينفخ في كير الطَّائفية هو ممَّن يؤجِّج الأزمة ويُزكِي ضرامها.

وإنَّ مَنْ يقلِب الحقائق ويُزَوِّرُ الوقائع ويذيع الكذبَ هو ممَّن يؤجِّج الأزمة ويزيد في أُوارها.

إنَّ مَنْ يُغلي الأسعار ويحتكرُ السِّلع ولا يرحم النَّاس هو ممّن يؤجِّج الأزمة ويُلْهب نارها.

وإنَّ من يظلم الضُّعفاء ويعتدي على الحرمات ويروّعُ الآمنين هو ممَّن يؤجِّج الأزمة ويَصْلِي النَّاس بها.

ولكلِّ هؤلاء أقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:93-94].

فهذا الصِّنف الأوَّل المؤجِّج.

أمَّا الصِّنف الثَّاني من النَّاس في الأزمة: فهم أولئك الخيِّرون البررة المتقون الفاعلون الخيرات التَّاركون المنكرات، همُّهم نُصْرَة الضَّعيف وإغاثة اللَّهفان، يحملون الكَلَّ، ويساعدون المحتاج، ويعينون على نوائب الدَّهر، إنْ رأوا عورة ستروها، وإن سمعوا كلمة خيرٍ أشاعوها، هم أهل المعروف في الدنيا ونسأل الله تعالى أن يجعلهم من أهل المعروف في الآخرة، يَفْزَع النَّاس إليهم في حوائجهم، وقد رفَعَتهم الأزمة مكاناً عليّاً في حين انخفض غيرهم مكاناً دنيّاً.

فكم من شاب كنتَ تراه قبل الأزمة في لهوٍ ولعب لفراغه الطويل، لكنك تراه اليوم مشغولاً ساعات طوالاً في إعانة المتضررين، إنَّه من الصِّنف الثَّاني؛ ازداد بالأزمة قرباً من الله تعالى.

وكم من تاجرٍ أرخَصَ الأسعار ورحم المصاب وأعان كلَّ من استطاع إعانته، إنَّه من الصِّنف الثَّاني؛ ازداد بالأزمة قرباً من الله تعالى.

وكم من أسرة شاركت أسرةً متضررةً طعامَها وشرابها وكساءها...، فعلوا كما فَعَل الأنصار مع المهاجرين.

وكم من صاحبِ جاهٍ بَذَلَ جاهَه حيث استطاع ليُطْلِق سجيناً مظلوماً أو يدفعَ عن مغلوب مظلمَتَه.

وهم في ذلك كلِّه صابرون محتسبون الأجر عند الله تعالى.

وإني أبشِّر هؤلاء ببشارةِ الله تعالى لهم في قرآنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:155-157].

وهذا هو الصِّنف الثَّاني الْمُسَكِّن.

أمَّا الصِّنف الثَّالث -الأخير- من النَّاس في الأزمة: فهم أناسٌ لا يبالون بما حَلَّ بالبلاد والعباد، همُّهم طعامهم وشرابهم وشُغْلهم وأهواؤهم وشهواتهم، إن حَزِنوا فعَلى ما فاتهم من الملاهي، وإن تألَّموا فعلى ما فقدوا من المغانم، لا يتورَّعون أن يُظهروا مظاهر الفرح والابتهاج وغيرُهم من النَّاس فَقَد مَنْ فَقَد من أبناءٍ وأرحامٍ.

لا يستحون أن يتسكَّعوا في الطُّرقات ويرتكبوا المحرمات والنَّاس في شدائدَ وكربات، وكأنَّهم لم يسمعوا بالحديث: ((مَنْ لَمْ يَهْتَمّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِيْنَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ)) [رواه الطبراني].

يُقِيم أحدُهم الدُّنيا ولا يُقعِدها إن زاد الملح في طعامه، أو نقص الوارد من ماله، لا يتحرَّك فيه ساكن وهو يسمع ويرى ما نزل بالنَّاس من كَرْب وضيق، كأنَّه وهو في النَّاس ليس من النَّاس.

لهؤلاء أقول ما قال الله تعالى في سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:18-19].

أيُّها الإخوة:

هذا ما رأيت عليه الناسَ في الأزمة، فهم أصناف ثلاثة: مؤجِّجُون، ومُسَكِّنون، وغيرُ مبالين، فمن أي الثلاثة أنت؟!

والحمد لله رب العالمين